

كان لنشر الثقافة الرومانية بين السكان المحليين أهمية كبيرة تكمن في توفير بيئة آمنة للمستوطنين الرومان كما أنها تكفى الرومان من عناء إستخدام القوة والسلاح والخسارة المالية للعدة والعتاد وأرواح الجنود ويؤكد ذلك ما قام به يوبا الثانى من حركة التطبيع الرومانى حيث تغير إسم عاصمته من يول إلى القيصرية تكريماً لقيصر أو أغسطس.

كان الوافدون الرومان من مستوطنين وتجار وإداريين يشيدون لأنفسهم أركان حضارة رومانية على أراضى شمال أفريقيا يضاهاوا بها الحضارة الرومانية فى روما فقد هيات ثروات تلك البلاد الفرصة للإزدهار كما أستحوذوا على ثروات تلك البلاد وسخروا الطاقة الحيوانية والبشرية من أجل ذلك ووفر ذلك كله نظام الأمن والحراسة التى كانت تقيمه الإمبراطورية فى الولايات للتمتع بمنجزاتهم الحضارية لفترة تزيد على الأربعة قرون ، وبالرغم من ذلك كله إلا أن قاومها شعوب تلك البلاد بالثورات المسلحة.

كان أستثمار أفريقيا في صالح روما ؛ لقد كانت أفريقيا مستغلة في أول الأمر لتزويدها بالقمح ثم بعد ذلك بتزويدها بالخمور والزيت وبمنتجات زراعية أخرى وبالمواد الأولية. فكان العمل مقدماً من طرف المواطنين الأصليين للبلاد (العبيد) مما أدى إلى تخريب النظام الإجتماعي البربري فكان هذا الإستغلال فيه فائدة لروما وأقلية كبار الملاك والتجار الإيطاليين وشاهدت الجمهرة الكبرى من البربر بتناقص مستواها الأقتصادي وبتفكك إطارها القبلي والإجتماعي ولم تعرف سوى الاستغلال والكدح الشاق والبؤس فلم يكن الإزدهار الرومان سوى واقع أقلية.

فيبدو أن الألعاب استخدمت كأداة فعالة في إحتواء الجماهير والتأثير عليها إذ يؤكد الخطيب اللاتيني "فرننتو" الأفريقي الأصل على الفاعلية السياسية للألعاب فيقول:

" تكمن جدارة الحاكم في إهتمامه بتسلية شعبه ولكي ينال الرضا يجب أن يقيم الألعاب". فيتفق المؤرخون على أن الألعاب كانت مناسبة للفرح ولتلقى الهبات حيث كانت تستند على تقديم الخمر للجماهير فهي مناسبة للتسلية ولسد الرمق .

شهد القرن الثاني الميلادي إعطاء المدن الأفريقية دساتير "المونيقبيوم" الحصول على رتبة المونيقبيوم أي بلدية أو "كولونيا" أي مستعمرة بالنسبة لمدنهم أو قراهم فكثرت تلك الألقاب في ولاية أفريقيا وفاقت روما كما منحت المدن الكبرى كقرطاج الدستور الإيطالي الذي ينص على الأعفاء من الضرائب على الأرض المنتجة، وتعود هذه المميزات التي حظيت بها ولاية أفريقيا إلى "السلم الروماني" وهو المعتمد على تحويل الأسلوب الروماني من سياسة عسكرية إستيطانية إلى سياسة سلمية مع الأهالي المحليين المهمشين في السابق وربما يعود ذلك إلى سيطرة الرومان واستتباب الأمن بأفريقيا وإكتمال الزحف الروماني. فكان الأنصهار داخل منظومة الرومنة تخدم المصالح السياسية والأقتصادية للطبقة الثرية والمتوسطة كألقاب تشريفية وتدعيم المركز الاجتماعي للوجهاء فلذلك تحملت نفقات تحويل مدنها إلى مدن ذات نمط روماني حيث كانت الشروط للحصول على الحقوق الرومانية هي إنشاء مستوطنات تحاكي العاصمة المركزية ومن ثمة تدعيم ثقافة العروض والألعاب والعروض الموسيقية أي كانت رمزا للتحضر، فالسلطة المحلية لها دورها في مجال الثقافة من ناحية البنية التحتية أو البنية الفوقية إلى دور البروقنصل فكان من مهامها أن يتعهد صاحبها على الأشراف على الأشغال العمومية .

إلى جانب دور مجلس الولاية والتي كان يعقد اجتماعات سنوية بقرطاج فيوفد إليها نواب المدن وهم أعلى رتب شرفية بلدية ومنهم منصب (فلامين أزلي) وهو الكاهن الذي يشرف في كل المدينة على عبادة الإمبراطور فكانت تلك الأتتماعات فرصة لإقامة العروض والحفلات والألعاب والعروض الموسيقية والمسرحية والتي تكفلوا بالأنفاق عليها من مالهم الخاص وكانت خزينة المجالس البلدية تختص بمراقبة جمع الضرائب ودفع المصاريف. ولكن كان الجزء الأكبر من دخلها هو من جانب حكام البلدية التي يغدقوها لإقامة العروض وكانت تتفوق على مصاريف خزينة البلدية، إلى جانب دور المضطلع بخطة " أيديليس " فكان مجلس البلدية يتجدد سنوياً وكان الحكم جماعياً لتولى الأشراف على المدينة فجماعة منهم تتولى القضاء الجناحى وتتولى أخرى برتبة " أيديليس " وتستند إلى اثنين من أعضاء المجلس البلدى مهمة مراقبة المصالح والأشغال العامة والأنفاق من مالهم الخاص على إقامة الألعاب بالمسرح والمسرح الدائرى فنتيجة لهذا التسابق الشرس لنيل الألقاب الشرفية تولد التنافس بين المدن الأفريقية لمحاكاة نموذج معالم العاصمة الرومانية.

خطة روما الرسمية لتخفيف وطأة اليأس عن رعاياها دائماً في الحلين التاليين :

الأول : حل يهدف إلى إرضاء واستمالة الأثرياء وأصحاب النفوذ بتوزيع مجالات اللهو والمتعة ، وتوفير الشرعية اللازمة لها لكي تنعم بحماية القانون . وفي هذا الصدد عملت روما على تلبية جميع الشروط من دون معارضة تذكر ، وأغرقت مدنها في أجواء صاخبة من المسرحيات الجنسية و فرق الراقصين والهواة الذين يعرضون مواهبهم في الشوارع إلى شبكات بيع الخمر والمتاجرة بالرقيق الأبيض التي كان الإغريق واليهود عادة يتنافسون على إدارتها بكل ما عرف عنهم من حماس وميل إلى الأتقان . أما الحمامات العامة فقد تحولت تحت إشراف الأباطرة إلى نواد معدة إعداداً خصيصاً لهؤلاء الذين لا يقصرون مطالبهم في الحمامات على النظافة وحدها . وتحت هذه الظروف كان على المرأة سواء في روما أو في بقية مدن المستعمرات أن تعيش على نطاق واسع أول التجارب القاسية لحياة امرأة المدينة ، وتضع نفسها في خدمة نظام اقتصادي يتعامل معها شخصياً بمثابة سلعة رئيسية في جميع المرافق الحانات ومحلات القمار وأماكن المتاجرة بالرقيق الأبيض .

بيوت الأثرياء حيث تعمل بمثابة خادمة أو مرضعة أو جارية .

الحل الثاني : ولأن ملامح الحياة في هذه المدن وراء أطواق من الحراس والحاميات والأسوار لم تكن دائماً مشوقة أو حتى محتملة بالنسبة للغالبية الساحقة من سكانها الذين كان عليهم أن يعانون ظروف المعيشة بمثابة عبيد أو أنصاف عبيد تحت ضغط هائل من الحكام وجباة الضرائب ومحاكم التفتيش وقد كان جميع سكان المستعمرات معرضين دائماً وفي أي وقت لكل مفاجأة ممكنة أو غير ممكنة بما في ذلك أن يضطروا أحياناً إلى بيع أحد أطفالهم في السوق لدفع ما تبقى عليهم من الضرائب . وتحت ظروف من هذا النوع قامت روما بإغراق سكان المدن بعروض مذهلة من حفلات المصارعة الدموية ، وعروض القتال بين العبيد والوحوش، والمبارزات التي لا تنقطع في جميع المدن وعلى جميع المستويات من المبارزات بين الديكة إلى المعارك الواسعة النطاق بين السفن الحربية. وفي هذا المجال اظهرت روما مواهب نادرة المثال في اختراع عروض جديدة متزايدة العنف والشناعة.

عندما نتحدث المصادر عن المسرح الروماني تميل عادة إلى تقييم هذا المسرح تقييماً فنياً محضاً ، وهو أمر كان يبدو مجدياً لو أنالرومان أنفسهم لم يكونوا أولاً وقبل كل شئ يحتاجون سياسياً إلى المسرح بالذات . فالعمل السياسي في مدن روما بما في ذلك المدن النائية مثل لبدة كان دائماً وفي جميع الأوقات في حاجة إلى كل وسيلة من وسائل الترفيه أو الأثارة . بل أن بعض الباحثين يرى أن المسرح قد قام برومنة الأفارقة أكثر مما قامت به جهود القناصل. فيذكر أن الأفارقة تعرفوا من خلال فن المسرح على أعمال كبار الأدباء والمؤلفين المسرحيين الأغريق، فحتى الأميين أو الذين لم يطلعوا على كتاب " الأنبياد لأورجيليوس" كانوا يعرفون مآسى " ديدون" التي ذاع صيتها إلى جانب العديد من التراجييات التي أقر " أوغسطينوس" في إعرافاته بأنه تأثر بها إلى حد البكاء.

أفكار روما كانت دائما مثل كل شئ في حضارتها بسيطة ، مباشرة
ونصف أنسانية ومحبوكة جداً وذات طابع إغريقي لا تخطؤه العين ،
فالحل الذي تلجأ إليه رسمياً ويفاخر به معظم أباطرتها لدفع السأم عن
مواطنيها لا يتمثل في تقديم أعمال فنية أو مسلية بل في تقديم ألعاب
مثيرة إلى أبعد حدود الأثارة ، وخالية خلواً تاماً من المثل ، من سباق
العربات ومشاجرات الأقدام والعروض الجنسية الرخيصة إلى تسخير
القانون نفسه في خدمة هذا الهدف بإرغام القتلة وقطاع الطرق على
تنفيذ أحكام الإعدام الصادرة ضدهم في بعضهم البعض خلال مبارزات
بربرية نادرة المثال في التاريخ بأسره. وفي زوايا هذه المسارح
والملاعب كان دائما ثمة مواطن ما أرغمه متعهد الضرائب على دفع
ديونه ببيع آخر عقار - أو دابة أو طفل - في حوزته. فالمسرح، كما
اتضح ، واحدة من الأسلحة الرئيسية المستخدمة من قبل أباطرة روما
لإسترضاء، و إلهاء الغوغاء، وبالتالي المحافظة على إحكام قبضتهم
على الدولة. منذ زمن بعيد، أظهرت أن الطريقة: الطغاة يجب أن تسيطر
على وسائل الإعلام .

أسهم الرومان لفن العمارة عدة أشياء منها:

- ١- هو تطوير البناء لأغراض الحياة العامة ، فقد استحدثوا التحول من البناء الدينى إلى إنشاء هندسة مدنية الطابع تخدم كافة الأغراض الترفيهية والرياضى والثقافى والصحى وأغراض الطرق والنقل فقال عنهم بلينيوس الأكبر (٢٣-٧٩م) " بأن لديهم القدرة على استعارة أى شئ اخترعه غيرهم وتكييفه بحيث يتسنى إستخدامه بطريقة عملية .
- ٢- الأرتفاع بالمباني فقد أتاح التطور التكنولوجى للرومان الأرتفاع بالبناء مثل أقواس النصر والبيوت الأسرية التى كان يسكنها الكثير من العائلات والدارات الفخمة الكبيرة والأبنية التجارية ذات الطوابق مثل التى وجدت فى ساحة تراجان وغيرها التى وفرت كثير من المحلات التجارية جنباً إلى جنب (مثل المولات حالياً) والحمامات ذات الأسقف العالية والأقبية العالية.

٣- هو تجديد تصميمات داخلية فسيحة رائعة لتلبية الأزدباد السكاني ويتجلى هذا الفرق بين المسرح الإغريقي والكولوسيوم أو بين البارثينون والباتثيون. كما أنها جمعت بين الطرز المعمارية المختلفة؛ فأستعملوا الطراز الدورى ، الأيونى، الكورنثى.

٤- إستخدام الرومان للعقود كعنصر أنشائى والتي سهل بناء الكثير من الأبنية السابقة مثل الجسور وقناطر المياه وأقواس النصر والأقبية العالية فى الحمامات. فهى على العكس من العمارة اليونانية التى تقوم على فكرة الخط المستقيم.

كما أن أهم مايميز العمارة الرومانية هى الوسائل التى أستخدمها الرومان فى البناء مثل إستخدام الخشب والحجر والرخام والآجر وهو الطوب الذى صنعه الرومان من خليط من الرمل والجير وتراب الرخام والماء، بحيث يوضع فى قوالب تجفف وعندها تصبح صلبة.

حاول الرومان أن يسخروا كل شئ لصالحهم من المشاريع الكبرى والإصلاحات لتدعيم نفوذهم لا لرفاهية الشعب ويظهر ذلك جلياً في محاولتهم لنشر الثقافة الرومانية . ولكن لم يتخلى شعوب تلك المنطقة عن هويتهم ولغتهم القومية إلى جانب المقاومة الشعبية الكبيرة التي أستمريت منذ سقوط قرطاج عام ١٤٦ ق.م إلى سقوط الإمبراطورية الرومانية عام ٤٧٦م. ومن ثم يمكن إرجاع ذلك إلى كون الإمبراطورية الرومانية خشنة النشأة والحياة العسكرية الشاقة ويظهر ذلك في ما أقاموه من مدن ومستوطنات وقلاع وشبكة طرق غرضها الأساسى الإتصال السريع بين مختلف الحاميات العسكرية فى شمال أفريقيا وبعد ذلك يأتى دورها كطريق تجارى هام ينقل خيرات بلاهم إلى روما.

كانت تلك السياسة الرومانية ناتجة عن محاولة روما إيجاد الحلول المؤقتة لمشاكلها الإجتماعية والتي تتلخص فى الصراع والأنتفاضة الداخلية بها بحثاً عن لقمة العيش أو طلباً للعدالة ومن ثم كان عليها إقحامهم داخل حروبها بينها وبين جيرانها لصرف نظرهم و إلهاء الناس بتعبئتهم فى الجيش وجعلهم وقوداً لها مقابل إغرائهم بالحصول على الغنائم (الأرض).

كانت روما تقوم مع جيرانها والتي كانت تضعهم ضمن خططها على سياسة فرق تسد فكانت فى بداية الأمر تتعامل كحليف و صديق قوى بينهم مصالح مشتركة إلا أن تتعارض تلك المصالح تبدأ بظهور أنيابها لتكشر عن قوتها لأحلافهم وتحولهم بعد ذلك إلى مجرد تابع يتبع القوانين الرومانية بل ويتأثر كثيراً بالأحوال السياسية والحياة الأقتصادية الرومانية. وكانت تعمل على مهادنتهم فقط لإستغلالهم من جميع النواحي والدليل على ذلك هو إعطاء بعضهم فقط حق المواطنة الرومانية التي ألهمت كثير من سكان الولايات وجعلتهم يخضعون لمعالم وشروط الرومنة بكل إستسلام وخضوع.